**بسم الله الرحمن الرحيم**

**ترقيم المحاضرة في الاسطوانة (14)**

**بداية الكون والإنسان – المحاضرة السادسة**

**المرحلة الأولي من بداية الكون**

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونؤمن به ونتوكل عليه ، ونستهدي الله بالهدي ، ونعوذ به من الضلالة والردى ، من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، أرسله إلي الناس كافة ، رحمة لهم ورأفة بهم ، والناس يومها على شر حال ، في ظلمات الجاهلية يتقلبون ، وفي الشرك والوثنية غارقون ، دينهم بدعة ، ودعوتهم فرية ، فأعز الله الدين بمحمد صلي الله عليه وسلم : ( مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ) (النساء:80) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الحشر/18 .

**ألا يا من قد قيد بالهوى فما يستطيع فكاكا - أفق قبل يوم أليم قد أتاكا أتاكا**

**بليت وما تبلي ثياب صباكا - كفاك نذير الشيب فيك كفاكا**

**ألم تر أن الشيب قد قام ناعيا - مقام الشباب الغض ثم نعاكا**

**ولم تر يوما مر إلا كأنه - بإهلاكه للهالكين عناكا**

**ألا أيها الفاني وقد حان حينه - أتطمع أن تبقي فلست هناكا**

**تسمع ودع من أفسد الغي سمعَه - كأني بداع قد أتي فدعاكا**

**ورب أمانٍ للفتي نَصَبَتْ له - المنيةُ فيما بينهن شراكا**

**أراك وما تنفك تهدي جنازة - ويوشك أن تُهدي هُديت كذاكا**

**ستمضي ويبقي ما تراه كما تري - وينساك من خلفته هو ذاكا**

**ألا ليت شعري كيف أنت إذا القوي - وهنت وإذا الكرب الشديد علاكا**

**تموت كما مات الذين نسيتهم - وتنسي ويهوى الحي بعد هواكا**

**كأن خطوب الدهر لم تجر ساعة - عليك إذا الخطب الجليل آتاكا**

.

أما بعد ، إخوتي الكرام هذه هي المحاضرة السادسة في السلسلة التي تتعلق بنشأة الكون وبداية الإنسان ، وقد ذكرنا في المحاضرة الماضية أنه إذا كانت الخلافة التي ميز الله بها الإنسان عن غيره من المخلوقات هي بمعني التخويل والإنابة ، فهل الإنسان خليفة ينوب عن الله في أرضه أم يخلف من سبق بعد موته ؟ وبينا أن المفسرين من السلف والخلف دارت أقوالهم حول هذين الرأيين ، فمنهم من يري أن الإنسان خليفة ينوب عن الله في تنفيذ الأحكام والعمل بشريعة الإسلام ، ومنهم من يري أن الخلافة التي ذكرها الله

إنما هي خلافة قرن لقرن يخلف بعضهم بعضا ، كما في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ .
وعلمنا أن استخلاف الإنسان في الأرض فعل من أفعال الله تعالى وأفعاله سبحانه فيها الكمال والجمال ، وتشهد لحكمته بالعظمة والجلال ، فالله لا يتصف إلا بالكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، كالحياة والعلم والقدرة ، والسمع والبصر والرحمة ، والعزة والحكمة والعظمة ، وغير ذلك من أوصاف الكمال ، أما ضد ذلك من أوصاف النقص ، كالموت والعجز والظلم ، والغفلة والسنة والنوم ، فقد تنزه ربنا وتعالي عن ذلك فسبحه الموحدون ، وقال المؤمنون في وصفه كما قال المرسلون : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ، وَسَلامٌ على المُرْسَلينَ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ ﴾ .
أما إذا كان الوصف عند تجرده عن الإضافة في موضع احتمال ، فكان كمالا في حال ونقصا في حال ، فالمسلم العاقل يقف مدققا ، لا يثبته لله إثباتا مطلقا ، ولا ينفيه عنه نفيا مطلقا ، بل لا بد في ذلك من البيان والتفصيل ، والتقيد بما ورد ذكره في التنزيل ، فقد ورد من الألفاظ في القرآن ما ينسب مرة إلي الإنسان ، وينسب إلي الله لا على وجه النقصان ، كالمكر والخداع والنسيان ، والاستهزاء والكيد والخذلان ، وغير ذلك من الأوصاف ، وما يقال فيها سوف يقال في الاستخلاف .
يقول الراغب الأصفهانى في مفرداته : ( الخلافة هي النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف ، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض ) ، فاستخلاف الإنسان الوارد في القرآن له في الحقيقة معنيان :
**الأول :** استخلاف عن نقص الأوصاف بحكم طبيعة الإنسان ، ويكون عند عجز المستخلف عن القيام بملكه أو انعدام قدرته تدبير أمره ، إما لغيابه أو قلة علمه ، وإما لمرضه أو موته ، كاستخلاف القائد نائبا على جنده أو قومه ، كما ورد في قوله تعالى عن موسي عليه السلام : ﴿ وَقَال مُوسَي لأخِيهِ هَارُونَ اخْلُفنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيل المُفْسِدِين ﴾ ، وفي الحديث الذي رواه البخاري بسنده عن سعد بن أبي وقاص ﵁ أَنَّ رَسُول اللهِ صلي الله عليه وسلم خَرَجَ إلي تَبُوكَ وَاسْتَخْلفَ عَليًّا ، فَقَال : أَتُخَلفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ ؟ قَال : أَلا تَرضي أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَي إِلا أَنَّهُ ليْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي ؟ ) .
ومن ذلك أيضا استخلاف ولي الأمر نائبا عنه قبل موته ، كما روي عَنِ عبد الله بْنِ عُمَرَ ﵁ قَال : حَضَرْتُ أَبِي حِينَ أُصِيبَ ، فَأَثْنَوْا عَليْهِ وَقَالُوا : جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا فَقَال : رَاغِبٌ وَرَاهِبٌ ، قَالُوا : اسْتَخْلفْ ، فقال : أَتَحَمَّلُ أَمْرَكُمْ حَيّا وَمَيِّتًا لوَدِدْتُ أَنَّ حَظِّي مِنْهَا الكَفَافُ لا على وَلا لي ، فَإِنْ أَسْتخلفْ فَقَدِ اسْتَخْلفَ منْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِنْ أَتْرُكْكُمْ ، فَقَدْ تَرَكَكُمْ مَنْ هوَ خَيْرٌ مِنِّي ، رَسُولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم ، قَال عَبْدُ اللهِ بن عمر ﵁ : فَعرَفْتُ أَنَّهُ حِينَ ذَكَرَ رَسُول اللهِ صلي الله عليه وسلم غَيْرُ مُسْتَخْلفٍ ) فالاستخلاف هنا عن قصر الأوصاف بحكم طبيعة الإنسان ، وذلك لعجز المستخلف عن القيام

بملكه أو انعدام قدرته تدبير أمره ، إما لغيابه أو قلـة علمـه كمـا تقـدم ، وإمـا لمرضه أو مـوته ، هـذا هـو المعنـي الأول لاسـتخلاف الإنسـان الـذي ورد فـي القرآن والسنة .

**أما المعني الثاني :** فهو الاستخلاف عن كمال الأوصاف ، وذلك إذا كـان لتشريف الإنسان وإكرامه أو اختباره وامتحانه ، وليس لعجز المسـتخلف عـن القيام بشؤونه ، كالطبيب فـي سـنة الامتيـاز ، إذا فحـص مريضـا فـي حضـرة الأستاذ ، فإن اجتاز الامتحان فقد فاز ، ونال الشرف بشـهادة عظيمـة ، وهـذا معلوم في كل فطرة سليمة ، وإن لـم يـؤد الـواجب علـى الـوجه المطلـوب ، عاقبه الأستاذ بالرسوب ، ونصحه بالاجتهاد وتصحيح العيـوب ، وإن تكـرر منـه الفشل والنسيان ، عاقبوه بالمنع والحرمان من أي شرف أو فضل ، وحق لهم أن يفعلوا به ذلك ، وأن يفصلوه من دراسته كذلك .

فلما قال الله عز وجل للملائكة في شأن الإنسان : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرْضِ خَليفَةً ﴾ تحقق في الخلافة المعنيان ، الأول : أن يخلف بعضهم بعضا على وجه النقصان ، والثاني : أنه خليفة لله في الأرض على وجه الامتحان ، وبهذا يزول الإشكال ويتآلف الرأيان ، فقوله تعالى : ﴿ آمِنُـوا بِـاللهِ وَرَسُـولهِ وَأَنْفِقُـوا مِمَّـا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلفِينَ فِيهِ فَالذِينَ آمَنُـوا مِنْكُـمْ وَأَنْفَقُـوا لهُـمْ أَجْـرٌ كَبِيـرٌ ﴾ ، يعنـي مستخلفين عمن سبق على وجه النقص وتعـاقب الأجيـال ، ومسـتخلفين فـي أرض الله أيضا على وجه الكمال ، وكذلك يقال في استخلافه داود لما خـاطبه الله فقال : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلنَاكَ خَليفَةً فِي الأرْضِ فَاحْكُمْ بَيْـنَ النَّـاسِ بِـالحَقِّ وَلا تَتَّبِعْ الهَوَى فَيُضِلكَ عَنْ سَبِيل اللهِ إِنَّ الـذِينَ يَضِـلُّونَ عَـنْ سَـبِيل اللَّـهِ لهُـمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ ﴾ .

جعله خليفة عن الملك طالوت لما قتل عدو الله جالوت ، وجعله خليفة في أرض الله ليحكم بين الناس بما أنزل الله ، وهكذا ابتلي الله سائر النـاس فـي الحياة ، واستخلف الإنسان واسترعاه ، كما جاء أيضا فـي قـول اللـه : ﴿ أَمَّـنْ يُجِيبُ المُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلفَاءَ الأرْضِ أءلهٌ مَـعَ اللـهِ قَليلا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ، وقوله : ﴿ هُوَ الذِي جَعَلكُـمْ خَلائِـفَ فِـي الأرْضِ فَمَـنْ كَفَـرَ فَعَليْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُـمْ عِنْـدَ رَبِّهِـمْ إِلا مَقْتًـا وَلا يَزِيـدُ الكَـافِرِينَ كُفْرُهُـمْ إِلا خَسَـارًا﴾ ، وقـوله أيضـا : ﴿ وعَـدَ اللَّـهُ الـذِينَ آمَنُـوا مِنْكُـمْ وَعَمِلُـوا الصَّالحَاتِ ليسْتَخْلفَنَّهُم فِي الأرْضِ كَمَا اسْـتَخْلفَ الـذِينَ مِـنْ قَبْلهِـمْ وَليُمَكِّنَـنَّ لهُـمْ دِينَهُـمْ الـذِي ارْتَضَـي لهُـمْ وَليُبَـدِّلنَّهُمْ مِـنْ بَعْـدِ خَـوْفِهِمْ أَمْنًـا يَعْبُـدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلكَ فَأُوْلئِكَ هُمْ الفَاسِقُونَ ﴾ ، وقوله : ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْل أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَـال عَسَـي رَبُّكُـمْ أَنْ يُهْلـكَ عَـدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلفَكُمْ فِي الأرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ .

هذه الآيات تدل على المعنييـن معـا ، أن الإنسـان خليفـة لمـن سـبق مـن الذرية عن نقص فـي الأوصـاف البشـرية ، وخليفـة للـه علـى وجـه الكمـال ، استخلفه رب العزة والجلال لإظهار المعاني الشرعية ، غير أنه لا حـول لـه ولا قوة في معاني الربوبية ، ويقول تعـالي : ﴿ وَهُـوَ الـذِي جَعَلكُـمْ خَلائِـفَ الأرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ليَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّـكَ سَـرِيعُ العِقَـابِ

وَإِنَّــهُ لغَفُــورٌ رَحِيـمٌ ﴾ وقــوله : ﴿ وَرَبُّــكَ الغَنِــيُّ ذُو الرَّحْمَـةِ إِنْ يَشَـأْ يُـذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّـةِ قَـوْمٍ آخَرِيـنَ ﴾ وقـوله : ﴿ فَإِنْ تَوَلوْا فَقَدْ أَبْلغْتُكُمْ مَا أُرْسِلتُ بِهِ إِليْكُـمْ وَيَسْـتَخْلفُ رَبِّـي قَوْمًـا غَيْرَكُـمْ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي على كُل شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ .

فالله استخلف الإنسان في الأرض وهو معه يتابعه ، ومن فوق العرش يراه ويسمعه ولكنه بين أن استخلافه في هذه الدار ، على وجـه الابتلاء والاختبـار ، وعلى وجه الأمانة والانتظار ، وأن يكون مصيره إما إلـي جنـة وإمـا إلـي نـار ، فقال رب العزة والجلال : ﴿ هَل أَتي على الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ، إِنَّا خَلقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَليهِ فَجَعَلنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ، إِنَّـا هَدَيْنَاهُ السَّبِيل إِمَّا شَـاكِرًا وَإِمَّـا كَفُـورًا ، إِنَّـا أَعْتَـدْنَا للكَـافِرِينَ سَلاسِـل وَأَغْلالا وَسَعِيرًا ﴾ ، وقال أيضا : ﴿ تَبَارَكَ الذِي بِيَدِهِ المُلكُ وَهُوَ على كُـل شَـيْءٍ قَـدِيرٌ ، الذِي خَلقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ ليَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ ﴾ .

فهو استخلاف ليس عن غيبة المستخلف ، كما يتوهم من لـم يفهـم مـا ورد في كتاب الله على الوجه الصحيح ، فإن الاستخلاف وإن اقتضـي الغيـاب بيـن الناس في العادة ، إلا أنه هنا كـان السـبب المباشـر فـي ظهـور عـالم الغيـب والشهادة ، فالغيب والشهادة أمـران نسـبيان يرتبطـان باسـتخلاف الإنسـان ، فـالله غيـب بالنسـبة للإنسـان لأن اللـه جعـل مـداركه محـدودة ، فهمـا غيـب وشهادة ليس بالنسبة لعلم الله بخلقه ، ولكن بالنسبة لعلم الإنسان بفعل ربه ، وعلمه بذاته وأسمائه وأوصافه ، فقال سبحانه تعالى في شمولية علمه لكل صغيرة وكبيرة في خلقه :

﴿ اللهُ يَعْلمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثي وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ، عَالمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الكَبِيرُ المُتَعَال ، سَوَاءٌ مِنْكُـمْ مَـنْ أَسَـرَّ القَـوْل وَمَنْ جَهَـرَ بِـهِ وَمَـنْ هُـوَ مُسْـتَخْفٍ بِالليْـل وَسَـارِبٌ بِالنَّهَـارِ ﴾ فهـو مـن فـوق العرش يرانا ويسمعنا وهو الذي يتولي شـئون خلقنـا ، ولا يخفـي عليـه شيء من أمرنا ، وقال تعالى أيضا في إحـاطته بعـالم الغيـب والشـهادة : ﴿ ذَلكَ عَالمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ العَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ، وقال : ﴿ هُوَ اللهُ الذِي لا إِلَــهَ إِلا هُوَ عَالمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ .

وأما علمنا بالله الذي إستخلفنا في أرضه فقد قال في المقابـل عـن حـدود علم المستخلف : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ العِلمِ إِلا قَليلا ﴾ ، وقال : ﴿ قُـل لا يَعْلـمُ مَـنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ .

فعلم الإنسان مهما بلغ محدود ، وحواسه لها حدود وقيـود ، وهـو محاسـب عليها في يوم موعود ، ولذا كان النطق بشـهادة الحـق أمـرا وتكليفـا ، وتـرك الزور وقول الصدق مدحا وتشريفا ، كما قـال سـيد الخلـق تحـذيرا وتخويفـا : ( أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ ؟ قُلنَا : بَلـي يَـا رَسُـول اللـهِ ، قَـال : الإِشْـرَاكُ بِـاللهِ وَعُقُوقُ الوَالدَيْنِ ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلسَ فَقَال : أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، فَمَا زَال يَقُولُهَا حتى قُلتُ : لا يَسْكُتُ ) .

وهذا حديث صحيح رواه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي بكـرة عـن أبيه ، وقال الحق سبحانه : ﴿ وَالذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَـرُّوا بِـاللغْوِ مَـرُّوا

كِرَامًا  ، فمن الجهل والعيب ادعاء الإنسان لعلم الغيب أو القول على الله بلا علم ، يقول الحق تبارك وتعالي :  وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا  ، ومن أجل ذلك أيضا كلف الله الإنسان بالتصديق الجازم لأركان الإيمان ، وكل خبر ورد ذكره في القرآن ، فقال تعالى في توضيح هذه المعان :  الم ، ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًي للمُتَّقِينَ ، الذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ، وَالذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِل إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِل مِنْ قَبْلكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ، أُوْلَئِكَ على هُدًي مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمْ المُفْلحُونَ ، إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ  .

فأركان الإيمان التي وردت في دين الله ، وظهر من خلالها سر الحياة ، حصرها رسول الله صلي الله عليه وسلم في أن تؤمن بالله وملا ئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، روي الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمر أنه قال : حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ قَال بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُول اللهِ صَلي الله عَليْهِ وَسَلمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلعَ عَليْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لا يُرَي عَليْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حتى جَلسَ إلي النَّبِيِّ صَلي اللهِ عَليْهِ وَسَلمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلي رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ على فَخِذَيْهِ وَقَال يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَال رَسُولُ اللهِ صَلي الله عَليْهِ وَسَلمَ الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلي الله عَليْهِ وَسَلمَ وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِليْهِ سَبِيلا قَال صَدَقْتَ قَال فَعَجِبْنَا لهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قَال فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإيمان قَال أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَال صَدَقْتَ قَال فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ قَال أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَال فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ قَال مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلمَ مِنَ السَّائِل قَال فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا قَال أَنْ تَلدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَي الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ قَال ثُمَّ انْطَلقَ فَلبِثْتُ مَليًّا ثُمَّ قَال لي يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ قُلتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلمُ قَال فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلمُكُمْ دِينَكُمْ ) .

فأركان الإيمان التي ذكرها رسول الله لجبريل وهو في صورة الأعرابي أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، وقد صدقه جبريل على ذلك ، وهذه الأركان تضمنت في ترتيبها سرَّ الحياة ، وبيان سر الحياة في هذه الأركان ، وتفسيرها للحقائق العظمي في حياة الإنسان ، على النحو المقصود في ترتيب الرسول للأركان ، يراه أصحاب البصيرة مشهودا وبين الكلمات موجودا ، فالمعني الموضوع بين أركان الإيمان ، أن تؤمن بالله الذي أنزل ملائكته بكتبه على رسله ليحذروا المستخلفين من يوم يقوم فيه الناس لرب العالمين ، فإذا انتهي الناس بعد العرض والحساب ، واستقروا في الآخرة للثواب والعقاب ، عندها يتم قدر الله كما ورد في أم الكتاب ، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وهذه حقيقة الإيمان بالقدر خيره وشره ، وينبغي أن تفهم أحاديث

الإيمان بالقدر على ضوء حقيقة الابتلاء واستخلاف الإنسان في الأرض ، فمـن حديث عمرو بن العاص  الذي رواه الإمام مسلم في كتاب القدر أنـه قـال : ( سَمِعْتُ رَسُول اللهِ صلي الله عليه وسلم يَقُولُ :كَتَبَ اللهُ مَقَـادِيرَ الخَلائِـقِ قَبْل أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلفَ سَنَةٍ ) .

ومن حديث على بن أبي طالب رَضِي الله تعالى عَنْـه الـذي وراوه البخـاري ومسلم أنه قَال : ( كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ فَأَتَانَا النَّبِيُّ صَلي اللـه عَليْـهِ وَسَلمَ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلهُ وَمَعَـهُ مِخْصَـرَةٌ – العـود الصـغير - فَنَكَّـسَ –أطـرق برأسه إلي الأرض - فَجَعَـل يَنْكُـتُ بِمِخْصَـرَتِهِ – يعنـي يضـرب بهـا فـي الأرض ضربا خفيفا - ثُمَّ قَال : مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلا كُتِبَ مَكَانُهَـا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً فَقَال رَجُـلٌ يَـا رَسُـول اللـهِ أَفَلا نَتَّكِلُ على كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَل ، فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْـل السَّـعَادَةِ فَسَيَصِـيرُ إِلـي عَمَل أَهْل السَّعَادَةِ وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْل الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إلي عَمَل أَهْل الشَّقَاوَةِ ، قَال رسول اللله ص : أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّـرُونَ لعَمَـل السَّـعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لعَمَل الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ : ( فَأَمَّا مَنْ أَعْطَي وَاتَّقَي وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لليُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِل وَاسْتَغْنَي وَكَذَّبَ بِالحُسْـنى فَسَنُيَسِّرُهُ للعُسْرَى )

وروي الإمام مسلم من حديث جابر بن عبد الله أن سُرَاقَة بْنَ مَالـكٍ قَـال : يَا رَسُول اللهِ بَيِّنْ لنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلقْنَـا الآنَ فِيمَـا العَمَـلُ اليَـوْمَ أَفِيمَـا جَفَّـتْ بِـهِ الأَقْلامُ وَجَرَتْ بِهِ المَقَادِيرُ أَمْ فِيمَا نَسْـتَقْبِلُ قَـال لا بَـل فِيمَـا جَفَّـتْ بِـهِ الأَقْلامُ وَجَرَتْ بِهِ المَقَادِيرُ قَال فَفِيمَ العَمَلُ ؟ قَال فَقَال اعْمَلُوا فَكُـلٌّ مُيَسَّـرٌ لعَمَلـهِ ، وستأتي معنا بإذن الله سلسلة كاملة نبين فيها حقيقة الإيمان بالقضاء والقـدر وأنها أساس التوحيد ومبعث التقوى في قلوب العبيد .

نعود إلي موضـوع الاسـتخلاف ونقـول إن اسـتخلاف الإنسـان فـي الأرض اسـتخلاف مقيـد غيـر مطلـق ، اسـتخلاف مقيـد بالخضـوع للتكليـف وإظهـار العبوديـة ، والعمـل فـي أرض اللـه بـالإرادة الشـرعية ، والحكـم فـي الرعيـة بالشريعة الإسلامية ، كما ورد عـن خيـر البريـة أنـه قـال : (كُلُّكُـمْ رَاعٍ وَكُلُّكُـمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلهِ وَهُـوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَـةٌ فِـي بَيْـتِ زَوْجِهَـا وَمَسْـئُولةٌ عَـنْ رَعِيَّتِهَـا ، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَال سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَـنْ رَعِيَّتِـهِ ، وَكُلُّكُـمْ رَاعٍ وَمَسْـئُولٌ عَـنْ رَعِيَّتِه ) وهذا الحديث حديث صحيح رواه البخاري بسنده عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنه .

وليس استخلاف الإنسان في الأرض نيابة عن الله في معاني الربوبيـة ، أو تخويلا لغيره في إرادته الكونية ، سبحانه وتعالي أن يتخذ شريكا له في ملكه ، أو يتخذ وليا من الذل وينعزل عن خلقه ،  وقُل الحَمْدُ للهِ الذِي لمْ يَتَّخِـذْ وَلـدًا وَلمْ يَكُنْ لهُ شَرِيكٌ فِي المُلكِ وَلمْ يَكُنْ لهُ وَليٌّ مِنْ الذُّل وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا  وقال :  قُل مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل اللهُ قُل أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْليَـاءَ لا يَمْلكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُل هَـل يَسْـتَوِي الأَعْمَـي وَالبَصِـيرُ أَمْ هَل تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ خَلقُوا كَخَلقِـهِ فَتَشَـابَهَ

الخَلقُ عَلَيْهِمْ قُل اللهُ خَالِقُ كُل شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ  وقال :  اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْض مَنْ ذَا الذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ يَعْلمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العلى العَظِيمُ  وقال :  إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ أَنْ تَزُولا وَلئِنْ زَالتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَليمًا غَفُورًا  وقال :  أَلمْ تَرَي أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لكُمْ مَا فِي الأرْضِ وَالفُلكَ تَجْرِي فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ على الأرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لرَءُوفٌ رَحِيمٌ  .

فإذا ظلم الإنسان نفسه وخلع رداء العبودية ، لينازع ربه في وصف الربوبية أو يشاركه في العلو والكبرياء ، وعظمة الأوصاف والأسماء ، كما فعل أكابر السفهاء فرعون وهامان ومن قبلهما النمرود بن كنعان ، فليس للظالم إلا الشقاء والحرمان ودوام العذاب في النيران ، وليس بعد طرده من الجنان خسران ، كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : ( يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَل الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، وَالعَظَمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي شَيْئًا مِنْهُمَا أَلقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ ) وفي صحيح مسلم من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِى أن رَسُولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم قال : ( العِزُّ إِزَارُهُ وَالكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُه ) ، وروي أيضا من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ  أن النَّبِيِّ صلي الله عليه وسلم قال : ( لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ ) .

وإذا كانت طبيعة العاقل الأمين في علاقته بمن استأمنه أنه يرجع إليه في طلب الهداية والعون والاستبصار ، وأن يعينه في الحفاظ على الأمانة من شر الخيانة أو جميع الأخطار ، ليبقي بوصفه أمينا صادقا صورته نقية في جميع الأنظار ، فلما كانت هذه صفة الأمناء في هذه الدار ، فإن القرآن جاء بإحياء فطرة التوحيد في نفوس المستخلفين ، ورد الملك إلي رب العالمين والخضوع لله ، أن يكون الإنسان مع ربه دائم الصلة ، ويرجع دائما إلي الذي خوله ، ويعتمد عليه في كل مسأله فيطلب منه ، ، وأن يرجع الإنسان دائما إلي ربه يستعين به ويتوكل عليه ، ويستهديه ويستغفره :  هُوَ الحَيُّ لا إِلهَ إِلا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لهُ الدِّينَ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ  وقال أيضا :  وَقَال رَبُّكُمْ ادْعونِي أَسْتَجِبْ لكُمْ إِنَّ الذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ  وقال أيضا :  إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللهُ فَلا غَالبَ لكُمْ وَإِنْ يَخْذُلكُمْ فَمَنْ ذَا الذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعلى اللهِ فَليَتَوَكَّل المُؤْمِنُونَ  وقال أيضا :  إِنِّي تَوَكَّلتُ على اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  وقال أيضا :  وَللهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَإِليْهِ يُرْجَعُ الأمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّل عَليْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ  ، وفي الحديث الذي رواه الإمام مسلم أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يقول في سفره :

﴿ سُبْحَانَ الذِي سَخَّرَ لنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إلي رَبِّنَا لمنْقَلبُونَ ﴾ ، اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا البِرَّ وَالتقوى ، وَمِنَ العَمَل مَا تَرضي اللهُمَّ هَوِّنْ عَليْنَا سَفَرَنَا هَذَا ، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ ، اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ ، وَالخَليفَةُ فِي الأَهْل ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ ، وَكَآبَةِ المَنْظَرِ ، وَسُوءِ المُنْقَلبِ فِي المَال وَالأَهْل ، وَإِذَا رَجَعَ قَالهنَّ ، وَزَادَ فِيهِنَّ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ ، لرَبِّنَا حَامِدُونَ ) .

فانظر إلي قوله : وَالخَليفَةُ فِي الأَهْل : فيه كمال التواضع والافتقار إلي الله ، فالله استخلف الرسول في أهله وجعلهم أمانة بين يديه ، والرسول يعلن لربه عجزه عند سفره ويستودع ربه أمنانته ، كأنه يعيد الأمانة إلي صاحبها ويطلب معونته في المحافظة عليها .

وكذلك جاز أن يستخلف رسول الله صلي الله عليه وسلم ربه على أمته عند ظهور الدجال ، على اعتبار أنه يرد الأمر إلي من استخلفه في الأرض افتقارا ، وإظهارا لعجزه وإقرارا ، أنه لا نجاة لأمته إلا إذا استعانوا بربهم على الدجال ، فقد روي الإمام مسلم من حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ﷺ أنه قَال ، ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم الدجال ذَاتَ غَدَاةٍ ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ ، حتى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْل ، فَلمَّا رُحْنَا إِليْهِ ، عَرَفَ ذَلكَ فِينَا فَقَال مَا شَأْنُكُمْ ؟ ، قُلنَا يَا رَسُول اللهِ ، ذَكَرْتَ الدجال غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ ، حتى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْل ، فَقَال غَيْرُ بَنَي حَارِثَةَ أَخْوَفُنِي عَليْكُمْ ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلسْتُ فِيكُمْ ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ ، وَاللهُ خَليفَتِي على كُل مُسْلمٍ ) .

فهذا الاستخلاف الذي ورد في الحديث سببه عجز المستخلف عن مواصلة الحياة ، ولما كان الموت مكتوبا على الجميع حتى على رسول لله ، وكان لا بد للأمانة من الصيانة حتى ترد إلي مالكها يوم الحساب ، كان ردها إلي صاحبها في الدنيا هو الكمال ، وكانت الاستعانة برب العزة والجلال ، شأن الموحدين الصادقين في كل حال ، وعلى هذا نخلص إلي القول بأن الله لما قال لملائكته : تضمن استخلاف الإنسان في الأرض عدة أمور مجتمعة :

**الأمر الأول :** أن الإنسان خليفة لله في الأرض على معني الكمال ، وهو الاستخلاف الذي يقصد به الاختبار والابتلاء ، فالإنسان لما حمل الأمانة ورفضتها المخلوقات ، هيأ الله الكون ليحقق استخلاف الإنسان في الأرض بما يسمح بوجود أمين وأمانة ومالك لها ، فالإنسان أمين في ملك الله وجاز أن ينسب إليه الملك على سبيل الاستخلاف والابتلاء والأمانة فقط ، والله مالك للأمانة بالأصالة ، وهو المنفرد بالخلق والأمر والملك فله مطلق التدبير الكوني والشرعي ، والأرض هي محل الابتلاء والأمانة التي سيسأل عنها الإنسان ، والله يعطي من خيراتها لمن يشاء على سبيل الأمانة والابتلاء وعلى هذا فالإنسان خليفة الله في الأرض لإظهار معاني العبودية فقط ، من القيام بشرعه وتنفيذ أمره سواء كان على المعني الخاص الذي يراد به إمام الناس أو المعني العام الذي يتناول سائر الناس .

كما إن الإنسان إن أطاع الله وأدي الأمانة والحقوق لأهلها وكان خاضعا لله موجها لها في دنياه على وفق ما أراده الله ، أبقاه في دار الجزاء على هذا الشرف الذي ناله في الابتلاء عند عرض الأمانة ، وإن كان كافرا بالله مشركا ، كان ظلوما جهولا خاسرا في الابتداء والانتهاء .

**الأمر الثاني :** أن الخلافة التي جعلها الله للإنسان هي خلافة ينوب فيها بعضهم عن بعض ، ويخلف كل جيل منهم جيلا سابقا ، وذلك لما لهم من معاني النقص وقصر الحياة ، فالموت يؤدي بالضرورة إلي تعاقب الأجيال على وراثة الأرض وخلافتها .

**الأمر الثالث :** أن الاستخلاف أدي إلي ظهور عالم الغيب والشهادة بالنسبة للإنسان لا بالنسبة لربه ، فالله غيب لا يراه الإنسان في الدنيا من أجل الابتلاء ، لكن الله يعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد ، وعلى ذلك أصبح الإيمان بالغيب بالنسبة للإنسان هو أساس البنيان الذي يعيش به في الحياة .

وهنا رواية يحتج بها من أنكر أن الإنسان خليفة عن الله في أرضه على وجه الابتلاء ، وذلك لأنه فهم أن الاستخلاف يقتضي غياب الله عن كونه ، فيقولون : ما غاب الله حتى يستخلف الإنسان ، وقد بينا أن الاستخلاف أدي إلي ظهور عالم الغيب والشهادة بالنسبة للإنسان لا بالنسبة لربه ، وأن الاستخلاف في ما يتعلق بتوحيد العبودية فقط ، ولا مجال فيه لمعاني الربوبية ، لكن الرواية التي رويت عبد الله بن أبي مليكة جاء فيها : ( قيل لأبي بكر ﷺ : يا خليفة الله فقال : بل خليفة محمد وأنا أرضي بهـ) قال الهيثمى : ( ابن أبي مليكة لم يدرك أبا بكر ) وروي الخلال مثل ذلك عن عمر بن الخطاب ﷺ بإسناده لا يصح لأن فيه مجهول .

لكن على فرض صحة الرواية فإن أبا بكر أجاب القائل بما يجب أن يقال في مثل هذا الحال ، لأن تعميم القول بأن الإنسان خليفة الله ، وإطلاق ذلك دون تقييد أمر باطل كما تقدم ، فالخليفة يكون عن كمال وعن نقص ، فإذا كان الاستخلاف لعجز المستخلف فهو نقص ، وإذا كان لابتلاء المستخلف فهو كمال ، أما الإطلاق فيقتضي الاحتمال وهو باطل ، ولذا أنكر أبو بكر التعميم ، وذكر الاستخلاف الذي يدل على التواضع والتسليم ، فالقائل له يا خليفة الله أراد له التعظيم ، فأراد له أبو بكر له الأدب والتعليم ، فنفي أن يكون خليفة عن الله ، ليثبت لله معاني الكمال ، وينفي النقائص عن رب العزة والجلال ، فأراد بقوله بل خليفة رسول الله التواضع في المنزلة ، والافتقار إلي الله في الخلافة المعضلة ، وأنه يتابع النبي متابعة كاملة ، لذلك قال منبها على هذه المسألة : وأنا راض به ، أي راض بأن أسير على نهج رسول الله عبدا لله في ملكه ، خادما لشرعه في أرضه ، متبعا كتابه وسنة نبيه ، وهذا يدل على أن أبا بكر ﷺ كان رجلا مدققا ، لم يثبت الخلافة إثباتا مطلقا ، ولكنه كان لكلام الله مصدقا ، حيث قال لملائكته : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ، فالعاقل لن يتوقع من أبي بكر ﷺ لو قال له قائل : يا خليفة الله ، أن يقول له أحسنت إن ممتاز .

كما أن عبارة : ( خليفة الله في الأرض ) ، ترددت بين السلف الصالح ولم يكن بينهم من يمنعها إلا على وجه المبالغة في الوصف وإطلاقه ، والله عز وجل استخلف الإنسان في أرضه على وجه الابتلاء بناء على حمله الأمانة ، فإن أداها كما ينبغي أكرمه الله في الدنيا وزاد من إكرامه في الآخرة ، وإن كفر فعليه الكفر والعصيان واستوجب المقت والخسران وهو الذي ضيع نفسه بعد هذا التكريم ، وحق أن يلوم نفسه في العذاب الأليم ، كما قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ هُوَ الذِي جَعَلكُمْ خَلائِفَ فِي الأرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَليْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلا مَقْتًا وَلا يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلا خَسَارًا ﴾ .

ذكر أبو سعيد الخراز في شأن الأنبياء والعلماء والصالحين كيف ملكوا الدنيا وكانوا أزهد الناس فيها ؟ أنهم كانوا أمناء لله تعالى في أرضه على سره وعلى أمره ونهيه وعلمه وموضع وديعته والنصحاء له في خلقه وبريته ، وهم الذين عقلوا عن الله تعالى أمره ونهيه وفهموا لماذا خلقهم وما أراد منهم وإلي ما ندبهم ؟ فسمعوا الله تعالى يقول : ﴿ آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلكُمْ مُسْتَخْلفِينَ فِيهِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ ثُمَّ جَعَلنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ، فأيقن القوم أنهم وأنفسهم لله تعالى ، وكذلك ما خولهم وملكهم فإنما هو له ، غير أنهم في دار اختبار وبلوى وخلقوا للاختبار والبلوى في هذه الدار ، فمن ملك شيئا من الدنيا فهو معتقد أن الشيء لله تعالى لا له إلا من طريق حق ما خوله الله واستخلفه ، وهو مبلي به حتى يقوم بالحق فيه ، فكانوا خزانا لله جل ذكره خارجين من ملكهم في ملكهم ناعمين بذكر الله وعبادته ، غير ساكنين إلي ما ملكوا ، لا يستوحشون من فقده إن فقدوه ، ولا يفرحون به إن وجدوه ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وللحديث بقية بإذن الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .